البناء
السنة السابعة / الاثنين / 21 أيلول 2015 / العدد 1889
Seventh year / Monday / 21 September 2015 / Issue No. 1889

ولأن في التاريخ بدايات المستقبل...

تُخصّصُ هذه الصفحة صبيحة كل يوم اثنين، لتحتضنَ محطات لامعات من تاريخ الحزب السوري القومي الاجتماعي، صنعها قوميون اجتماعيون في مراحل صعبة من مسار الحزب، فأضافوا عبرها إلى تراث حزبهم وتاريخه التماعات نضالية هي خطوات راسخات على طريق النصر العظيم.

وحتى يبقى المستقبل في دائرة رؤيتنا، يجب أن لا يسقط من تاريخنا تفصيل واحد، ذلك أننا كأمّة، استمرار مادي روحي راح يتدفق منذ ما قبل التاريخ الجلي، وبالتالي فإن إبراز محطات الحزب النضالية، هو في الوقت عينه تأكيد وحدة الوجود القومي منذ انبثاقه وإلى أن تنطفئ الشمس.

كتابة تاريخنا مهمة بحجم الأمة.

أنطون سعاده في المغترب القسري 1938 ـ 1947

شريط بانورامي عن أبرز ما حصل معه في قبرص وإيطاليا وألمانيا والبرازيل

1

سعاده في سان باولو

أسد الأشقر

لبيب ناصيف

كان الزعيم أنطون سعاده قد قرّر، بعد طرح فكرته على أعضاء المجلس الأعلى، القيام بجولة على عدد من بلدان المهجر، يتفقد فيها أحوال القوميين الاجتماعيين، وينشر دعوته القومية الاجتماعية في أوساط المهاجرين من أبناء شعبنا.

في 11 حزيران 1938، غادر سعاده بيروت متوجّهاً أولاً إلى دمشق، فعمّان، طبريا، وصولاً إلى حيفا بعد ظهر الثلاثاء 21 حزيران ليغادرها مساء اليوم التالي. تمكن خلال ذلك من أن يجتمع بمنفذها العام الرفيق كميل جدع (مُنح لاحقاً رتبة الأمانة) وبالقوميين الاجتماعيين، ثم استقلّ الباخرة إلى قبرص، حيث استقر فيها ما يزيد على الشهر، قبل أن يغادرها إلى أوروبا، فالبرازيل، ليستقر بعد ذلك في الأرجنتين في واقع من الاغتراب القسري بعد أن كانت السلطات الفرنسية قد أصدرت حكمها عليه بتاريخ 20 آب 1940، ونشوب الحرب العالمية الثانية، إلى حين تمكّنه من العودة إلى وطنه فيصل إليه في 2 آذار 1947.

عن تلك المرحلة، نعرض شريطاً لأبرز ما حصل في: قبرص، إيطاليا، ألمانيا، البرازيل والأرجنتين نقلاً عن مصادر عدّة.

في قبرص

ـ وصل سعاده إلى جزيرة قبرص في 22 حزيران 1938 فحلّ في فندق «Petit palais» في «Platres». ومنها راح يوجه رسائل إلى مسؤولين في المغتربات، وفي الوطن إلى المجلس الأعلى في بيروت، وإلى رئيسه الأمين فخري معلوف يشرح له فيها المهمات التي عليه القيام بها.

ـ تسنى لسعاده وهو في قبرص أن يطّلع على أحوال شعبها وعاداته، على تاريخها كما على جغرافيتها. فتولدت لديه القناعة أنها قطعة من الوطن السوري، إلا أن ذلك لم يُعرف ويعمّم إلا بعد عودته إلى الوطن عام 1947، عندما ثبّت ذلك في المبدأ الأساسي الخامس[1].

في توطئة الطبعة الرابعة من كتاب التعاليم، الصادرة في 18 أيلول 1947، يقول سعاده: «ولما كانت القضية قد أصبحت تقتضي اكتمال كليتها بسرعة كي لا تبقى أيّ ناحية من نواحيها ناقصة أو غير واضحة كل الوضوح، انتهزت سانحة إعادة طبع التعاليم (المبادئ والشرح) للمرة الرابعة لأنقحها وأكملها على أساس الطبعة الثالثة المنقحة في الأرجنتين».

ومن المواضيع الأربعة التي يشملها التنقيح، يعرض سعاده في البند الثاني، التالي:

إكمال توضيح الحدود الشمالية الغربية التي تشمل جزيرة قبرص التي هي جزء من الأرض السورية.

ـ من الرسائل الموجّهة إلى رئيس المجلس الأعلى، تلك الصادرة بتاريخ 1938/7/2 وفيها يتحدث سعاده عن صلاحيات المجلس الأعلى، فيقول: «أوافق على اجتهاد المجلس في تعيين صلاحياته التطبيقية. أما الإبهام في المرجع التنفيذي الأعلى عندما لا يمكن الاتصال بالزعيم، فلا يمكن أن يكون هنالك ما يدعو إليه، لأن التنفيذ يكون تنفيذ سياسة وتنفيذ تشريع، وهو من صلاحية مجلس وكلاء العمد[2]، ويكون من صلاحية المجلس الأعلى تقرير السياسة وتقرير التشريع واتخاذ التدابير اللازمة لمراقبة التنفيذ والتثبّت من صحته عملياً. أما إذا كان القصد من الإبهام في القرارات السياسية والتشريعية، فحين تعرض قضايا خطيرة مستعجلة لا تتمكن من انتظار الاتصال بالزعيم، فالمجلس الأعلى يتخذ صلاحية التقرير النهائي ويتحمل مسؤولية ذلك. وإني أعطي المجلس الأعلى صلاحية واسعة من هذا القبيل في كل الظروف التي لا يمكن معها انتظار الاتصال بي. وفي كل مقررات المجلس الأعلى يخضع المجلس للاتجاه السياسي ـ الإداري العام ولتوجيهات الزعيم».

ـ قبل يوم من مغادرته قبرص في 28 تموز 1938 أصدر سعاده مرسوماً يقضي بأن يحيي الحزب بتاريخ 28 تموز من كل سنة «يوم المهاجر» تكريماً للمهاجرين السوريين المنتشرين في العالم[3]. إلا أن الأمين جبران جريج يفيد «أن المجلس الأعلى بدأ يعقد جلساته ويمارس الصلاحيات الممنوحة له من الزعيم، فكان القرار الأول الذي اتخذه، اعتبار تاريخ 28 تموز 1938 ذكرى يوم المهاجر وذلك تسجيلاً لمغادرة الزعيم أرض الوطن من قبرص في التاريخ المذكور للقيام برحلته الميمونة[4]».

في إيطاليا

ـ انتقل سعاده من قبرص إلى إيطاليا في باخرة إيطالية أقلّته إلى مرفأ «أوستيا»، ومنه توجّه إلى روما وحلّ في أحد فنادقها. اتصل سعاده بالرفقاء أعضاء مفوضية روما المركزية، وكانوا طلاباً يدرسون في جامعات روما، وعقد معهم اجتماعات عدّة. كذلك اتصل بصديق قديم له يدعى ديتشكو، وهو أديب كان قد تعرّف إليه سعاده في البرازيل في زيارته الأولى إليها، فسهّل له الاتصال ببعض الصحف، منها مجلة «Omnibus» واسعة الانتشار فأدلى بأحاديث هامة إليها[5].

ـ أثناء وجود سعاده في روما، حدثت أزمة تشيكوسلوفاكيا التي كادت من جرّائها أن تنشب الحرب العالمية الثانية، فرأى سعاده أن يمدّد إقامته في روما بانتظار ما ستؤول إليه الأزمة، حتى إذا نشبت الحرب عدل عن متابعة سفره إلى أميركا، وعاد إلى الوطن ليكون مع حزبه[6].

ـ أمضى سعاده في روما شهرَي آب وأيلول وأكثر من نصف تشرين أول. أثناء ذلك وجه إلى المجلس الأعلى في الوطن رسالتين (في 22 آب و29 آب) ورسالة إلى الأمين فؤاد أبو عجرم وكان يتولى مسؤولية المعتمد المركزي في الولايات المتحدة في 30 أيلول (أما رسالته الثانية إلى الأمين أبو عجرم فقد أرسلها سعاده من برلين بتاريخ 16 تشرين أول 1938) كما اغتنم فرصة إقامته في روما فزار فصلية تحمل أفكار الحزب وتوزّع على الرفقاء والمواطنين. وقد تمّ هذا فعلاً بعد مغادرة سعاده برلين، وصدرت المجلة باسم الرسائل».

اكتشف الزعيم أثناء وَجوده في برلين أن علاقة المدير بالسلطات الألمانية كانت من طرف واحد. أي أنها كانت تُستثمر لخدمة الجهة الأخرى. قبل ذلك كانت عمدة المالية قد تسلمت من مديرية برلين المستقلة أزراراً مصنوعة بإتقان تحمل رسم الزوبعة بالألوان الثلاثة، وتحمل في الوجه الخلفي اسم المدير «محمد مصون عابدين بك»، فطلبت منه العمدة أن يتوقف عن وضع اسمه على الأزرار، مبيّنة له الفردية في هذا التصرّف.

قبل أن يغادر سعاده برلين، أصدر مرسوماً بإقالة المدير محمد مصون عابدين بك وتعيين الرفيق سروري بارودي خلفاً له.

أثناء إقامته في برلين، شاء بعض المسؤولين في وزارة الخارجية ودائرة شؤون الشرق الأدنى الألمانيتين أن يتعرّفوا إلى سعاده ويبحثوا معه القضايا التي تهّم بلادنا. وهذا ما حصل، فأوضح لهم سعاده في المقابلة حقوق الأمة السورية ووحدتها وسيادتها التامة على أرضها وجميع مرافقها، كما شدّد على عدم قبول أيّ إرادة غير إرادة شعبها.

أجريت مقابلة أخرى مع فيلسوف المذهب النازي «روزنبرغ» أوضح فيها سعاده أفضلية النظرة القومية الاجتماعية على النظرات الجزئية.

مغادرة ألمانيا

غادر سعاده برلين بالقطار إلى مرفأ مدينة «بريمرهافن»، ومنها أقلته إحدى البواخر المتجهة إلى دكار في السنغال، حيث كان الرفيق أسد الأشقر (الأمين ـ رئيس الحزب لاحقاً) ينتظره في مرفئها. لم يكن الرفيق أسد قد تمكن من الحصول على تأشيرة لمرافقة سعاده إلى البرازيل. لذلك، صعد إلى الباخرة التي كانت تقل الزعيم، وقد بقيت في مكتبة الفاتيكان ومتحفه وأماكن أثرية عدّة، وأغنى لغته الإيطالية التي كان قد مضت عليه سنوات من دون أن يتحدّث بها.

ألمانيا

عندما انقشعت غيوم الحرب بانعقاد «مؤتمر ميونيخ»، عزم سعاده على السير في الخطة المرسومة. فغادر روما إلى برلين ملبّياً دعوة مديرية الحزب لزيارتها وحضور احتفالها بمضيّ سنة على تأسيسها، فاستقبله الرفقاء بترحاب وأحلّوه ضيفاً في فندق «كايزر هوف».

يروي الأمين نواف حردان في كتابه «سعاده في المهجر» التالي: «في برلين، عقد سعاده اجتماعات عدّة لأعضاء المديرية، كما التقى أصدقاءهم فكان لتلك الاجتماعات والأحاديث أثر كبير في نمو العمل الحزبي في برلين. ما حدا بسعاده إلى توجيه المسؤولين في المديرية من أجل إصدار مجلة فصلية تحمل أفكار الحزب وتوزّع على الرفقاء والمواطنين. وقد تمّ هذا فعلاً بعد مغادرة سعاده برلين، وصدرت المجلة باسم الرسائل».

اكتشف الزعيم أثناء وَجوده في برلين أن علاقة المدير بالسلطات الألمانية كانت من طرف واحد. أي أنها كانت تُستثمر لخدمة الجهة الأخرى. قبل ذلك كانت عمدة المالية قد تسلمت من مديرية برلين المستقلة أزراراً مصنوعة بإتقان تحمل رسم الزوبعة بالألوان الثلاثة، وتحمل في الوجه الخلفي اسم المدير «محمد مصون عابدين بك»، فطلبت منه العمدة أن يتوقف عن وضع اسمه على الأزرار، مبيّنة له الفردية في هذا التصرّف.

قبل أن يغادر سعاده برلين، أصدر مرسوماً بإقالة المدير محمد مصون عابدين بك وتعيين الرفيق سروري بارودي خلفاً له.

أثناء إقامته في برلين، شاء بعض المسؤولين في وزارة الخارجية ودائرة شؤون الشرق الأدنى الألمانيتين أن يتعرّفوا إلى سعاده ويبحثوا معه القضايا التي تهّم بلادنا فأوضح لهم حقوق الأمة السورية ووحدتها وسيادتها التامة على أرضها وجميع مرافقها كما شدّد على عدم قبول أيّ إرادة غير إرادة شعبها.

أجريت مقابلة أخرى مع فيلسوف المذهب النازي «روزنبرغ» أوضح فيها سعاده أفضلية النظرة القومية الاجتماعية على النظرات الجزئية.

مغادرة ألمانيا

غادر سعاده برلين بالقطار إلى مرفأ مدينة «بريمرهافن»، ومنها أقلته إحدى البواخر المتجهة إلى دكار في السنغال، حيث كان الرفيق أسد الأشقر (الأمين ـ رئيس الحزب لاحقاً) ينتظره في مرفئها. لم يكن الرفيق أسد قد تمكن من الحصول على تأشيرة لمرافقة سعاده إلى البرازيل. لذلك، صعد إلى الباخرة التي كانت تقل الزعيم، وقد بقيت في مرفأ دكار نحو أربع ساعات. يفيد الأمين أسد في العدد 584 تاريخ 1987/6/20 من مجلة «البناء ـ صباح الخير»، أن سعاده قال له وهما يمشيان على ظهر الباخرة: «مررت بإيطاليا وألمانيا، واستطعت أن أطّلع على بعض ما يجري هناك، الجماعة مصمّمون على إشعال حرب عالمية كبيرة، يريدون أن يسيطروا على العالم. إيطاليا وألمانيا في تحالف مصيري نهائي. ألمانيا تنازلت لإيطاليا عن كل تدخل في حوض المتوسط، خصوصاً في سورية الطبيعية والعالم العربي. ولا شك أن انتصار هذين الحليفين سيجعل من سورية المقاطعة الرومانية الجديدة. فالخطر الكبير الذي يحدق بنا إذن، ليس من الاستعمار الفرنسي ـ البريطاني فحسب، بل من انتصار ألمانيا وإيطاليا في حرب آتية حتماً».

ويتابع: «الجماعة يستعدون بسرعة، ليفاجئوا فرنسا وبريطانيا وأميركا بحرب عالمية فاصلة، لن تقف إلا عندما يصبح العالم كلّه تحت سيطرة الدولتين المتحالفتين. و من الصعب علينا، كحزب ثوري أن نتمكن بالتحالف مع بعض فئات من الشعب، من أن نصير قوة مسلحة قادرة أن تلعب دوراً كبيراً في هذه الحرب، خصوصاً أن ما يشيع خصومنا وأعداؤنا عنّا، أننا نازيون وفاشيستيون، يخيف السلطة المحلية والاستعمارية المتسلطة على بلادنا، كما يخيف الشعب. والأفضل أن نتريّث ونقوم بنشاطنا الحزبي في المهاجر، إلى أن نرى ما سيجدّ في العالم بالنسبة إلى بلادنا».

سعاده في البرازيل

ـ في 30 تشرين الثاني 1938، وصلت الباخرة التي تقلّ سعاده إلى مرفأ ريو دي جانيرو، فوجد الرفيق جورج ددّه[7] في استقباله مع عدد من المواطنين. بقيت الباخرة يومين في ريو دي جانيرو، اجتمع سعاده أثناءهما بالرفيق ددّه، وزوّده بالتوجيهات والتعليمات الحزبية اللازمة لبدء العمل الحزبي، ثم تابعت الباخرة طريقها إلى مرفأ «سانتوس» في ولاية سان باولو، حيث كان جمهور كبير من أبناء الجالية السورية ينتظرونه.

ـ انتقل سعاده ومستقبلوه إلى مدينة سان باولو (تبعد 64 كيلومتراً عن المرفأ) حيث حلّ ضيفاً على الجالية في فندق «اسبلاندا»، وراح يستقبل الوافدين من أبناء الجالية للسلام عليه. وكان ذلك بداية تأسيس العمل الحزبي في سان باولو والبرازيل.

ـ بعد أسبوع تقريباً، وصل من أفريقيا الرفيق أسد الأشقر والأمين خالد أديب عبد الواحد (من طرابلس). وبعد أيام قليلة أصدر سعاده مرسوماً عيّن بموجبه الرفيق أسد ناموساً له والأمين خالد ناموساً ثانياً. وبعد أن أقاما أسبوعاً في فندق «اسبلاندا» إلى جانب الزعيم، انتقلا إلى منزل واسع، فجعلاه مسكناً لهما ومكتباً للحزب، فيه راح سعاده يستقبل المراجعين والزائرين[8].

ـ بدأ الحزب ينتشر، ليس في سان باولو وحدها، إنما في ولايات أخرى أبرزها «المثلث الميناوي» من ولاية «ميناس جيرايس»، بعدما كان أقسم الرفيق إبراهيم حبيب طنوس[9] ثم الرفيق وليام بحليس[10].

ـ إلى جانب اهتمامه بنشر الدعوة القومية الاجتماعية في البرازيل وتوجيه الرفقاء الذين راحوا ينتمون بالعشرات، وتعميق فهمهم العقيدة والنظام، راح سعاده منذ أواخر كانون الثاني 1939 يهتم بموضوع إصدار جريدة تنطق باسم الحزب، إلى أن تمّ له ذلك في آذار، فصدرت «سورية الجديدة»[11] في الحادي عشر منه، أي بعد ثلاثة أشهر ونيّف من وصول سعاده إلى البرازيل.

> تسنّى لسعاده وهو في قبرص أن يطّلع على أحوال شعبها وعاداته وعلى تاريخها كما على جغرافيتها فتولّدت لديه القناعة التامّة بأنها قطعة من الوطن السوري

> شاء مسؤولون ألمان أن يتعرّفوا إلى سعاده ويبحثوا معه القضايا التي تهّم بلادنا فأوضح لهم حقوق الأمة السورية ووحدتها وسيادتها التامة على أرضها وجميع مرافقها كما شدّد على عدم قبول أيّ إرادة غير إرادة شعبها

> رأى سعاده أنّ ألمانيا وإيطاليا تستعدان بسرعة لتفاجئا فرنسا وبريطانيا وأميركا بحرب عالمية فاصلة، ورأى أنه من الصعب علينا كحزب ثوري، أن نتمكن بالتحالف مع بعض فئات من الشعب من أن نصير قوة مسلحة قادرة أن تلعب دوراً كبيراً في هذه الحرب

هوامش

(1) نواف حردان «سعاده في المهجر» ـ الجزء الثاني، ص 63.

(2) كان سعاده قد حلّ مجلس العمد وأوكل إلى العمد مسؤوليات في المناطق الحزبية (منفذ عام)، وشكّل مجلساً من وكلاء العمد، وعيّن الأمين عبد الله قبرصي رئيساً له. ثم ألغى القرار بموجب الرسالة الموجهة من قبرص بتاريخ 2 تموز 1938 إلى رئيس المجلس الأعلى.

(3) «سعاده في المهجر»، الجزء الثاني، ص 63.

(4) جبران جريج: «من الجعبة» الجزء الرابع ص277.

(5) نواف حردان ـ المصدر السابق، ص 64.

(6) يقول سعاده في خطابه في توكومان في 1943/11/28: «ولما حدثت أزمة تشيكوسلوفاكيا عام 1938، وكنت حينئذ في إيطاليا، وكاد يكون من ورائها نشوب الحرب في تلك السنة لولا مؤتمر ميونيخ، أرسلت كتاباً بالبريد الجوي إلى المنفذ العام للشاطئ الذهبي الرفيق أسد الأشقر الذي رافقني في ما بعد إلى هذه البلاد، أقول له فيها إنه إذا نشبت الحرب، فإني أعدل عن متابعة سفري إلى أميركا، وأعود إلى الوطن لأكون في المركز في هذه الحالة الحرجة».

(7) جورج ددّه: كان يصدر جريدة «الإخلاص» في ريو دي جانيرو. تعرّف إلى سعاده عام 1924 بوساطة والد سعاده الدكتور خليل الذي كان يصدر مجلة «المجلة». يقول في حديث إن سعاده، عندما أبلغه الرفيق جورج عن رغبته في الانتماء إلى الحزب بعد مراسلات جرت بينهما، كتب له من سجن الرمل على إثر انكشاف أمر الحزب (تمّ ذلك في 1935/11/16) طالباً منه أن يكتب القَسَم ويقف باحترام رافعاً يده اليمنى ويُقسم بصوت عال. فنفّذ الأمر، وهكذا أصبح عضواً في الحزب. تولى في ما بعد مسؤولية مدير مديرية ريو دي جانيرو.

(8) نواف حردان ـ «سعاده في المهجر» ـ الجزء الثاني، ص 76.

(9) ابراهيم حبيب طنوس: من بلدة دير دلوم ـ عكار، ولد عام 1904، غادر إلى البرازيل أواخر عام 1925 وانتمى عام 1938 على يدي ناموسَي سعاده آنذاك الرفيق أسد الأشقر والأمين خالد أديب بعدما كان سمع من سعاده شروحاته عن مبادئ الحزب الأساسية والإصلاحية. استقر في بلدة «أراشا» (ولاية ميناس جيرايس) ومنحه مجلسها البلدي شهادة «مواطن شرف»، توفّي عام 1990.

(10) وليم بحليس: من بلدة منيارة ـ عكار، انتمى بعد الرفيق إبراهيم حبيب طنوس، تولّى في البرازيل مسؤولية منفذها العام فترة طويلة، كما مُنح رتبة الأمانة. كان يتمتع بشخصية قوية، وبوعي حزبي عقائدي متقدّم، وافته المنية عام 1955 وهو في التاسعة والأربعين من عمره.

أفادنا الأمين ربيع الدبس أنّ الشاعر الكبير عمر أبو ريشة، الذي كان سفيراً للجمهورية العربية السورية في دول عدّة منها البرازيل، قال له: «إن وليم بحليس من أرقى القوميين الاجتماعيين الذين تعرّفت إليهم في حياتي».

(11) اقتراح الاسم «سورية الجديدة» يعود إلى الرفيق جورج بندقي.

«مأزق واشنطن في كييف»

حميدي العبدالله

«مأزق واشنطن في كييف» تحت هذا العنوان نشرت صحيفة «واشنطن بوست» و«بلومبيرغ نيوز سيرفس» مقالاً أعدّه بشكل مشترك «جورو جين» محرّر في شؤون الأمن القومي، و«إيلي ليك» محلل سياسي أميركي، خلاصة المقال تؤكد أنه ليس لدى الولايات المتحدة من خيارات في أوكرانيا، سوى المواجهة المسلحة الواسعة والمباشرة مع روسيا، إذا أرادت الولايات المتحدة التصدّي لروسيا ومنعها من مواصلة ضمّ جزيرة القرم، ودعم المقاطعات الشرقية في أوكرانيا.

صحيح أنّ الكاتبين لم يتحدّثا صراحة عن إعلان الحرب على روسيا من قبل الولايات المتحدة، لكنهما انتقدا ما عدا ذلك من سياسات ومواقف، وهي السياسات والمواقف الممارَسة حتى الآن من قبل إدارة أوباما، وأكدا أنّ هذه السياسات تشكل مأزقاً أميركياً في أوكرانيا.

لكن هل الولايات المتحدة قادرة على الدخول في مواجهة عسكرية مباشرة مع روسيا في أوكرانيا؟

من الواضح أنّ ذلك نوعاً من أنواع الانتحار، ولا تستطيع أيّ قيادة أميركية، سواء كانت جمهورية أو ديمقراطية اتخاذ قرار بمواجهة عسكرية مباشرة مع روسيا، ولا سيما في أوكرانيا، وذلك لأسباب وحسابات كثيرة، من بين هذه الأسباب والحسابات أنّ روسيا من الناحية العسكرية لا تزال دولة كبرى ولديها قدرات هائلة ، وأيّ حرب مع روسيا ستكون مكلفة ولا يمكن مقارنتها بحروب الولايات المتحدة الأخرى، سواء حرب فيتنام أو حربي العراق وأفغانستان، كما أنّ الاقتصاد الأميركي يعاني من مصاعب كثيرة، وغالبية الشعب الأميركي لا تؤيد التورّط بمزيد من الحروب، وتدعو إلى إيلاء الشأن الاقتصادي أهمية أكبر، بدلاً من تسعير نار الحروب التي تستنزف الاقتصاد، والغالبية الأميركية مستعدّة للتحرك والضغط على الإدارة والكونغرس لإحباط خيار الحرب، كما أظهرت التحركات الشعبية التي رافقت حروب فيتنام وأفغانستان والعراق، مع فارق مهمّ يكمن في أنّ أيّ حرب مع روسيا ستكون باهظة ومكلفة أكثر. وبالتالي تحفز على معارضتها بشكل أقوى وأوسع. كما أنّ الحكومات الأوروبية تعارض ذلك لأسباب اقتصادية، وأسباب سياسية وعسكرية، الأسباب الاقتصادية تكمن في واقع أنّ ثمة مصالح مشتركة بين روسيا والدول الأوروبية، وتحديداً ألمانيا، أما الأسباب السياسية والعسكرية فتكمن في أنّ أوروبا قد تتحوّل مسرحاً للحرب وتدفع كلفة أعلى من الكلفة التي يمكن أن تدفعها الولايات المتحدة، وشعوب أوروبا تعارض بقوة خيار الحرب لأنها دفعت ثمناً باهظاً في الحربين العالميتين الأولى والثانية.

في ضوء كلّ ذلك ليس أمام الولايات المتحدة من سياسات في مواجهة روسيا سوى السياسات الحالية، وإذا كانت هذه السياسات تمثل مأزقاً لأميركا فإنّ هذا المأزق مستمرّ إلى ما لا نهاية.

من المعلم إلى «المستر كيري» اسمع بس اسمع...

■ **سعدالله الخليل**

سباق ديبلوماسي روسي سوري أميركي، مواقف بالجملة عبر منصات الإعلام، تطورات متسارعة تسخن من حرارة المشهد السياسي في المنطقة، رسائل ورسائل مضادّة قبل أيام من طرح الرئيس الروسي فلاديمير بوتين مبادرته لحلّ الأزمة السورية ومواجهة الإرهاب في الجمعية العامة للأمم المتحدة كنتيجة لمشاورات موسكو مع الدول الفاعلة والمؤثرة على الساحة السورية، وقبل أن تترأس روسيا مناقشة وزارية في مجلس الأمن حول تسوية النزاعات في الشرق الأوسط، حيث سيتولى وزير خارجيتها سيرغي لافروف ضبط إيقاع النقاشات حول الجهود المبذولة في مواجهة التنظيمات الإرهابية المسلحة وما حققته الأطراف في تلك المواجهة ومبادرة بوتين التي تجمع الجوانب الأمنية بالسياسية بتشكيل جبهة موحدة لمواجهة التنظيمات الإرهابية ودفع عمليات التسوية السياسية وإرغام الدول على وقف التسليح والتمويل، وما أنجزته واشنطن خلال عام من الضربات الجوية ضدّ تنظيم «داعش» في سورية والعراق، وما حققته الجهود الدولية بدفع العملية السياسية في المنطقة لتسوية النزاعات.

الحضور الإعلامي المكثف للمسؤولين السوريين والروس وسيل المفاجآت التي كشفوا عنها وآخرها رسالة وزير الخارجية وليد المعلم إلى نظيره الأميركي جون كيري بأنّ المفاجآت المقبلة أكبر من توريد الأسلحة الروسية، بل ويتمثل بالمشاركة الروسية بمحاربة تنظيمات «داعش» و«جبهة النصرة» وأخواتها كفعل أساسي يقلب الطاولة على من تآمر على سورية، وما تسرّب عن مشاركة روسية على الأرض السورية قبل أيام دفع كيري إلى الإقرار بإمكانية السير في الحل السياسي للأزمة السورية من دون المطالبة بتنحّي الرئيس بشار الأسد، إقرار ليس بطيب خاطر أو قناعة بضرورة السير في التفاهمات، إنما إدراك بأنّ الهجوم السوري الروسي المعاكس قد بدأ في الحرب الحقيقية ضدّ الإرهاب المدعوم من واشنطن وأدواتها في المنطقة من أنقرة والرياض، وأول الغيث من الفوعة وكفريا وأكثر من 100 قتيل لـ«جبهة النصرة» المدعومة من تركيا والسعودية، جناحي الهجوم الأميركي في الحرب على سورية، ومن بين القتلى أحد معاون زعيم تنظيم القاعدة أسامة بن لادن القيادي أبو الحسن التونسي، ما أجبر التنظيمات الإرهابية على طلب الهدنة في كفريا والفوعا في إدلب والزبداني ومضايا في ريف دمشق.

تطورات يتردّد صداها في كواليس الحراك السياسي المباشر على خط موسكو ـ واشنطن تمثل بقبول إدارة أوباما العرض الروسي بإجراء المحادثات العسكرية مع موسكو حول الأزمة السورية وصفته صحيفة «التايمز» بأنه إحدى علامات العجز الأميركي في سورية، واعتراف بنجاح الرئيس الروسي فلاديمير بوتين بملء الفراغ الذي تركته الولايات المتحدة في سورية.

يبدو أنّ كيري أرغم على فهم رسالة المعلم في افتتاح ملتقى «جنيف 2» وعبارته المشهورة «لا أحد في العالم يستطيع تغيير حكومة أو دستور أو رئيس إلا السوريين وحدهم»، وعليه قرّر كيري النزول من رأس الشجرة، وفجأة أدرك أنّ الصراع في سورية طال أكثر مما يجب، وأنّ الوقت قد حان للبحث عن سبل لإنهاء الحرب الدائرة منذ نيف وأربع سنوات ولوضع حدّ لأزمة اللجوء وكأنه غائب عن المشهد السياسي طوال هذه المدة ليعلن بأنّ الإدارة الأميركية مضطرة للتعايش مع وجود الرئيس الأسد في سدة الحكم، وإنْ إلى حين، من دون أن يجرؤ على تحديد سقف زمني، بعكس ما كان يردّده ويكرره في السنوات الماضية بأنّ أيام الأسد باتت معدودة، ليصير الأمر متروكاً للسوريين والمفاوضات ولا دخل لواشنطن فيه.

من البوابة الروسية وجّه وزير الخارجية وليد المعلم رسالته الأخيرة إلى «المستر كيري» واعداً بالمزيد من المفاجآت يبدو أن الرسالة وصلت فهل من يقرأ ويرى ويسمع...؟

«توب نيوز»

فليتجرأوا

ـالذين شككوا بحساباتنا بهزيمة حلف الحرب على سورية منذ مجيء الأساطيل ورحيلها فليتجرّأوا ويتحدّثوا الآن.

ـالذين شككوا بحساباتنا عن توقيع التفاهم النووي حكماً فليتجرّأوا ويتحدّثوا الآن.

ـالذين شككوا بحساباتنا عن حتمية سقوط حكم «الإخوان» في مصر وتونس فليتجرّأوا ويتحدّثوا الآن.

ـالذين شككوا بحساباتنا عن حتمية رحيل أمير قطر الكبير بعد فشله في إسقاط سورية ورئيسها فليتجرّأوا ويتحدّثوا الآن.

ـالذين شككوا بحساباتنا عن قرب نهاية حكم «الإخوان» في تركيا وفشله الانتخابي فليتجرّأوا ويتحدّثوا الآن.

ـالذين شككوا بحساباتنا عن أنّ الأزمة في سورية والحرب عليها ستمتدّان بقوة حتى نهاية العام 2014 موعد الانسحاب الأميركي من أفغانستان، وعن العدّ التنازلي لمئة يوم لن تكون بعدها حرب أميركية مباشرة على سورية فليتجرّأوا ويتحدّثوا الآن.

ـالذين شككوا بحساباتنا عن العام 2015 عام السياسة والغرق السعودي في اليمن والفشل الإسرائيلي في تغيير موازين الردع فليتجرّأوا ويتحدّثوا الآن.

ـالذين شككوا بحساباتنا عن بدء الهجوم الروسي المعاكس خريف العام 2015 وبالتغيير الأوروبي والأميركي والقبول بالحلّ السياسي تحت راية الأسد فليتجرّأوا ويتحدّثوا الآن.

ـفليتجرّأوا ويتحدّثوا.

التعليق السياسي